

منهج المدرسة الاشعرية في مسألة العلم الالهي

د. ياسين حسين علوان الويسي

استاذ الفلسفة المساعد/ قسم الشريعة

كلية العلوم الاسلامية / جامعة سامراء

المقدمة:

ان من المباحث المهمة في علم الكلام مسألة العلم الالهي تلك المسألة التي شغلت حيزا كبيرا من مساحة الفكر الاسلامي لاسيما الفرق الكلامية التي تنازعت واختلفت حول موضوع الصفات بشكل عام والعلم الالهي بشكل خاص، فقد اعتبرت بعض الفرق ان الصفات هي عين الذات تنزيها لله تعالى عن ان يشاركه شيء في القدم حتى صفاته. وهذا ما ذهب اليه المعتزلة والإمامية . وذهبت الاشاعرة الى ان صفات الباري تعالى لا هي هو ولا هي غيره. متخذين منهجا وسطا بين منكري الصفات والمثبتين الذين بالغوا في اثبات الصفات الى حد التجسيم واقفين عند حدود النص. فكان لمنهج الاشاعرة الوسطي هذا اهمية كبيرة مما جعلني اتخذه عنوانا لبحثي الموسوم (منهج المدرسة الاشعرية في مسألة العلم الالهي) مبينا فيه اختلاف آراء بعض مفكري الاشعرية كالباقلاني والجويني عن منهج زعيم المدرسة ابي الحسن الاشعري. معتمدا على امهات المصادر. ومقسما ببحثي الى اربعة مطالب.

الاول: في اصول مسألة العلم الالهي.

والثاني: في بيان منهج الاشعري.

والثالث: في ردوده على مخالفيه.

واما الرابع: فكان في بعض الافكار المخالفة للأشعري ضمن المدرسة الاشعرية

كالباقلاني والجويني.

ختاما ببحثي بخاتمة تضمنت اهم ما توصلت اليه من نتائج في هذا البحث.

ومقدما توصياتي لزملائي الباحثين سائلا المولى العلي القدير ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم انه نعم المولى ونعم المجيب والحمد لله رب العالمين .والصلاة والسلام على محمد وآل محمد أئمة الهدى للعالمين .

المطلب الاول: اصول مسألة العلم الالهي .

يبدو أن العلم الإلهي وهو أحد الصفات الإلهية لا ينفك تاريخياً عن مسألة الوجود فنذ أن تكلمت الألسن في مسألة الوجود واثبات وجود واجب الوجود تكلمت أيضاً في صفات واجب الوجود وأخص هذه الصفات العلم الإلهي الذي صار محل جدل كبير بين الفلاسفة والمتكلمين في الفكر الإسلامي . أما أصول مسألة العلم الإلهي في الفلسفة اليونانية فأن المدرسة الفيثاغورية بنت تصورهما للعلم الإلهي على أساس طرق المعرفة البشرية فانباذوقليس يرى: أن (المعرفة حسية وعقلية)⁽¹⁾ وأن الإدراك عندهم انفعال وحركة ويعرض مذهبهم الدكتور حسام الآلوسي فيقول: (وكذلك هم يقولون أن الشبيه لا ينفعل بالشبيه مع أنهم من جهة أخرى يقولون الشبيه يدرك الشبيه ، فكيف لا ينفعل أحدهما بالآخر ، والإدراك عندهم انفعال وحركة . إذا كان عنصر يعرف بعناصره الجسمية الموجودة في الكائن الحي المدرك فلماذا لا يدرك العظيم ، كعظم شيئاً ، بل لا تدرك العناصر حتى العناصر التي تشبهها . يترتب على مذهبهم ان الله جاهل لأنه لا يتركب من عناصر فهو لا يعرف الموجودات كما أنه لا يعرف الكراهية بينما تعرفها الموجودات الأخرى)⁽²⁾ أن مذهب هؤلاء يستند إلى ان الشبيه يدرك شبيهه فالإله لا شبيه له فهو لا يدرك شيئاً من الموجودات وبما أن الإله عندهم محبة محضة فهو لا يدرك الكراهية بينما تدركها الموجودات الأخرى . وانباذوقليس مثال المدرسة الفيثاغورية .

F. F Burnet J. : Greek philosophy , Thales to pla , London 1961 , P. 246 – (1)

نقلاً عن حسام الآلوسي : الفلسفة اليونانية قبل ارسطو، دار الحكمة ، بغداد ، 1990 ص 98 .

(2) د. حسام الآلوسي : الفلسفة اليونانية قبل أرسطو ص 97 .

أما سقراط فيرى ان العلم الإلهي علم بكل شيء ما كان وما هو كائن وما سيكون فرأيه هذا يعرضه في محاوره الدفاع إذ يقول : (لقد أذفت ساعة الرحيل ، وسينصرف كل منا إلى سبيل ، فإننا إلى الموت ، وأنتم إلى الحياة ، والله وحده عليم بأبيهما خير)⁽³⁾ .

أما أفلاطون فإن الإله عنده خير مطلق وجمال مطلق وأن زيليري : (أن أفلاطون ... وصل في بحثه عن الخير إلى الاعتراف بوحدة الخير)⁽⁴⁾ .

وأفلاطون الذي يعتبره السهروردي أمام الإشراقين يرى أن علم الله علم إشراقي أي أن حضور الشيء فيه حضور إشراقي (فيدرك ذاته لا بأمر زائد على ذاته ، ويعلم الأشياء بالعلم الاشراقي الحضورى . فواجب الوجود مستغن عن الصور وأما الاشراق والتسلط المطلق فلا يعزب عنه الشيء)⁽⁵⁾ .

أما أرسطو فإن له موقف يخالف فيه من سبقه في مسألة العلم الإلهي فهو يرى أن الله تعالى يعلم الموجودات نتيجة تعقله لذاته والتي هي أشرف ما ينبغي أن يعقل (ولكنه يستتبع في مذهب ارسطو أن الله لا يعلم العالم ولا يعنى به)⁽⁶⁾ ثم يؤول يوسف كرم كلام أرسطو في موضع آخر (بأن الله لا يعلم الموجودات في أنفسها كموضوعات يتلقى عنها علمه ، ولكنه يعلمها في ماهيته التي هي نموذج الوجود)⁽⁷⁾ أي أن الله يعلم الموجودات بعلم كلي وهو معرفته بعلة وجودها وعلة وجود الموجودات هي ذاته فهو يعلم الأشياء من خلال علمه بذاته وقد تابعه على ذلك بعض فلاسفة الإسلام وسوف نوضح ذلك تفصيلاً .

المطلب الثاني: العلم الالهي عند الاشعري.

(3) أفلاطون : محاوره الدفاع ، ضمن محاورات أفلاطون ، ترجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة 1963 ، ص 110 .

(4) Zeller out line the Greek Philosophy , New York , 1955 , P. 136 .

(5) السهروردي ، حكمة الاشراق ، ص 390 .

(6) د. يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص 182 .

(7) المصدر نفسه ، ص 182 .

الصفة التي اثارته اشكاليات كثيرة في الفكر الاسلامي وهي العلم الالهي .
فقد وقف امام الطائفة ابو الحسن الاشعري موقفاً وسطاً بين من انكر الصفات أو
جعلها عين الذات كالباطنية والمعتزلة ومن اثبتها اثباتاً قاده إلى التشبيه كالحشوية
والمجسمة الذين تمسكوا بظواهر النصوص فأضافوا لله صفاتاً تدل على التجزؤ
والتمكن ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، لقد وجد الاشعري ان العقل يساند
النقل وان التوقف عند احدهما يؤدي إلى خلل في المنهج لذا فهو يستدل بالنقل
ويعضده بحجج العقل ، قبل ان يتخذ هذا الموقف كان "معتزلياً ثم تاب" (8) .
واظهر تشييعه لهم قال ابن كثير : (ان الاشعري كان معتزلياً فتاب بالبصرة فوق
المنبر ثم اظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم) (9) . وبعد ان بين ابو الحسن الاشعري
اقوال الاسلاميين في العقيدة في كتابه "مقالات الاسلاميين" شرع في الرد عليهم
في كتابه "اللع في الرد على اهل الزيغ والبدع" وبعد ان هدم رأي مخالفيه بين
مذهبه الاعتقادي في كتابه "الابانة عن اصول الديانة" وتابعه على ذلك المذهب
كثير من اهل السنة وأئمتهم ، الذين يجمع ارايهم الشهرستاني حيث يقول : (قال ابو
الحسن "يعني الاشعري" : (الباري تعالى عالم بعلم ، قادر بقدره ، حي بحياة ،
مريداً بإرادة ، متكلم بكلام ، سميع يسمع ، بصير يبصر . وله في البقاء اختلاف
رأي) (10) . وقال ايضاً ان : (هذه الصفات ازلية قائمة بذاته تعالى لا يقال : هي
هو ، ولا هي غيره ، ولا هو ، ولا غيره) (11) . وفي موضع اخر يقول الشهرستاني :
(فالصفات على مذهبهم "أي الاشاعرة" تدل على معان زائدة على مفهوم الذات
فهي ليست الفاظاً مترادفة . قالوا : كما لا يجوز عقلاً ان توجد ذات الانسان إلا
اذا كانت له صفات زائدة عليها ومغايرة لها وتختلف كل صفة منها عن الصفات
الآخري ، كذلك لا يجوز ان توجد الذات الالهية من غير صفات زائدة على

(8) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج 2 ، ص 446 .

(9) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 11 ، ص 187 .

(10) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 95 .

(11) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 95 .

الذات ومغايرة لها)⁽¹²⁾. ثم بين مخالفتهم لمن سواهم فيقول : (ثم قالوا : "وان هذه الصفات لا يقول هي هو ، لان ذلك انكار لوجود الصفة والقول بعينيتها ، وذلك مذهب المعتزلة" ، ولا هي غيره "لأنها لو كانت غيره لأصبحت ذاتاً مستقلة قائمة بنفسها وذلك يوجب التعدد والكثرة" ، بل يقال : ان الذات ومعها الصفة قديمة من غير وجود تغاير ، لأن الصفة ليست ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الذات)⁽¹³⁾ .

واستدل الاشعري بان الله تعالى عالم بأدلة سمعية منها قوله تعالى {انزله بعلمه}⁽¹⁴⁾ . وكذلك قوله تعالى {وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه}⁽¹⁵⁾ وادلة عقلية في قول الاشعري (لا يخلو ان يكون الله تعالى عالماً بنفسه او بعلم يستحيل ان يكون هو نفسه عالماً ويستحيل ان يكون العلم عالماً او العالم عالماً ، فلما استحال ان يكون الباري تعالى عالماً استحال ان يكون عالماً بنفسه ، فاذا استحال ذلك صح انه عالم بعلم يستحيل ان يكون هو نفسه)⁽¹⁶⁾ ، وقد رد على من قال (بأن علم الله هو الله - يعني ابو الهذيل العلاف 000 والزمه ، فقليل له : اذا قلت ان علم الله هو الله فقل : يا علم الله اغفر لي وارحمي ، فأبى ذلك فلزمته المناقضة)⁽¹⁷⁾ . ثم يرد على الباطنية فيقول : (واعلموا رحمكم الله ان من قال : عالم ولا علم كان مناقضاً ، كما ان من قال علم ولا عالم كان مناقضاً ، وكذلك القول في القدرة ، والقادر ،

(12) الشهرستاني ، نهاية الاقدام ، ص 200 .

(13) الغزالي ، الاقتصاد والاعتقاد ، القاهرة ، 1327 ، ص 54 . كذلك التفتازاني ، شرح العقائد النسفية ، القاهرة ، 1326 هـ ، ص 75 .

(14) سورة النساء من الآية 166 .

(15) سورة فصلت من الآية 47 .

(16) الاشعري ابو الحسن ، اللع في الرد على اهل الزيغ والبدع ، تحقيق الاب مكارثي ، بيروت ، 1953 ، ص 14 .

(17) الاشعري ، الابانة عن اصول الديانة ، تقديم الشيخ حماد بن محمد الانصاري ؛ والشيخ عبد العزيز بن باز ؛ والشيخ اسماعيل الانصاري ، دار البصيرة ، الاسكندرية ، ط 1 ، 1413 هـ - 1992 م ، ص 135 ..

والحياة ، والحى ، والسمع ، والبصر ، والسميع ، والبصير⁽¹⁸⁾ . ويرى الدكتور حسام الالوسي (ان الخلاف بين المعتزلة وبين الاشاعرة حول المسألة خلاف لفظي ولذلك فان العداء المتأجج حول هذه المسألة يبدو غريباً وفي رأي لا يقوم إلا على اساس من عدم الامانة العلمية في الجدل عند كليهم فان الاشعري يفسر قول المعتزلي : "اله عالم وعلمه هو ذاته" بأبعد صوره المحتملة وهو ان الله ذات معطلة عن الصفات . وبالمثل فان خصوم الاشاعرة يفسرون قول الاخيرين في الصفات "انها ليست هي الذات ولا هي غيرها" بأنه كلام متناقض وبأنه دفاع عن تعدد القدماء ، ولكن هؤلاء الخصوم يتناسون انه أي اشعري يعتبر القول بقدم أي شيء سوى الله وصفاته ضرباً من الشرك⁽¹⁹⁾ .

ثم يبحث المسألة من حيث الاشتقاق اللغوي : (ويقال لهم : وجدنا اسم عالم اشتق من علم ، واسم قادر اشتق من قدرة ، وكذلك اسم حي اشتق من حياة ، واسم سميع اشتق من سمع ، واسم بصير اشتق من بصر ، ولا تخلوا اسماء الله عز وجل من ان تكون مشتقة ، او لإفادة معناه ، أو على طريق التلقين ، فلا يجوز ان يسمى الله عز وجل على طريق التلقين باسم ليس فيه افاده معناه ، وليس مشتقاً من صفة)⁽²⁰⁾ .

ويذكر اجماع المسلمين على ان الله تعالى لا يلقب كما يلقب البشر : (فإذا قلنا ان الله عز وجل عالم قادر فليس ذلك تلقياً ، كقولنا : زيد وعمرو ، وعلى هذا اجماع المسلمين واذا لم يكن ذلك تلقياً وكان مشتقاً من علم فقد وجب اثبات العلم ، وان كان ذلك لإفادة معناه فلا نختلف على ما هو لإفادة معناه ، ووجب اذا كان معنى العالم منا ان له علماً ان يكون : كل عالم فهو ذو علم ، كما اذا كان قولي

(18) المصدر نفسه ، ص 135 .

(19) د. حسام الالوسي ، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، ص 174-175 .

(20) د. حسام الالوسي ، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، ص 140 .

: موجوداً مفيداً فينا الاثبات ، كان الباري تعالى واجباً اثباته لأنه سبحانه وتعالى موجود) (21).

المطلب الثالث: ردود الاشعري على مخالفه

ونعود إلى ردود ابي الحسن الاشعري على مخالفه ومنهم الجهمية حيث يذكر فريتهم ويرد عليها قال : (وزعمت الجهمية ان الله عز وجل لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له ، وارادوا ان ينفوا ان الله عالم قادر حي سميع بصير ، فنعمهم خوف السيف من اظهارهم نفي ذلك ، فأتوا بمعناه ، لأنهم اذا قالوا : "لا علم لله ولا قدرة له" ، فقد قالوا : انه ليس بعالم ولا قادر ، ووجب ذلك عليهم) (22) وهؤلاء يعتبرهم اوائل المعتزلة وان ما اخذوه انما عن الزنادقة قال: (وهذا انما اخذوه عن اهل الزنادقة والتعطيل ، لأن كثيراً من الزنادقة قالوا: ان الله ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ، فلم تقدر المعتزلة ان تفصح بذلك ، فأتت بمعناه ، وقالت ان الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير ان يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر) (23). ويبين الاشعري خروج الجهمية والمعتزلة عن اجماع المسلمين فيقول : (وقد اجمع المسلمون - قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية - على ان الله علماً لم يزل ، وقد قالوا: علم الله لم يزل ، وعلم الله سابق في الاشياء ، ولا يمنعون ان يقولوا في كل حادثة تحدث ، ونازلة تنزل : كل هذا سابق في علم الله ، فمن جحد ان الله علماً ، فقد خالف المسلمين ، وخرج عن اتفاقهم) (24).

ثم يتطرق لتنفيذ حججهم بطرح أسئلة ويجيب على احتمالات الاجوبة فيقول: (ويقال لهم : إذا كان الله مريداً افله ارادة ؟ فان قالوا: لا قيل لهم : انهم مريداً لا ارادة له ، فأثبتوا قائلاً لا قول له ، وان اثبتوا الارادة قيل لهم : فاذا

(21) المصدر نفسه ، ص 140 .

(22) الاشعري ، الابانة ، ص 134 .

(23) المصدر نفسه ، ص 134 - 135 .

(24) الاشعري ، الابانة ، ص 136 .

كان المرید لا يكون مریداً إلا بإرادة فما انكرتم إلا يكون العالم عالماً إلا بعلم وان يكون لله علم كما اثبت له ارادة⁽²⁵⁾ . ومن المسائل التي ناقشها الاشعري تمييزهم بين صفة العلم وصفة الكلام قال : (وقد فرقوا بين العلم والكلام ، فقالوا : ان الله عز وجل علم موسى وفرعون ، وكلم موسى ولم يكلم فرعون ، فكذلك يقال : علم موسى الحكمة وفصل الخطاب ، واتاه النبوة ، ولم يعلم ذلك فرعون ، فان كان لله كلام لأنه كلم موسى ولم يكلم فرعون ، فكذلك لله علم لأنه علم موسى ولم يعلم فرعون)⁽²⁶⁾ . ولا يزال يفند حججهم (ثم يقال لهم : اذا وجب ان الله كلاماً به كلم موسى دون فرعون اذ كلم موسى دونه ، فما انكرتم اذا علمهما جميعاً ان يكون له علم به علمهما جميعاً ، ثم يقال : قد كلم الله الاشياء بأن قال لها : كوني، وقد اثبت لله قولاً ، فكذلك ان علم الاشياء كلها ، فله علم⁽²⁷⁾ . والعجب كل العجب ان الاشعري يناقشهم على انهم منكرو صفة العلم لا انهم يثبتونها عين الذات وليس خارجة عنه ، ويستمر في مناقشتهم على هذا المنحنى : (ثم يقال لهم : إذا اوجبتم ان الله كلاماً وليس له علم ، لأن الكلام اخص من العلم والعلم اعم منه ، فتقولوا : ان لله قدرة ، لأن العلم اعم عندكم من القدرة ، لأن من مذهب القدرية انهم لا يقولون ان الله يقدر ان يخلق الكفر ، فقد اثبتوا القدرة اخص من العلم ، فينبغي لهم ان يقولوا على اعتلاهم ان لله قدرة⁽²⁸⁾ . وبنفس الحجّة اثبت الاشعري صفة القدرة للرد على القدرية ، وعاد إلى القول ان خصوصية الكلام لا تلغي صفة العلم : (ثم يقال: اليس الله عالماً والوصف له بأنه عالم اعم من الوصف له بأنه متكلم مكلم؟ ثم لم يجب لأن الكلام اخص من ان يكون الله متكلماً غير عالم ، فلم قلت : ان الكلام وان كان اخص من العلم ان ذلك لا ينفي ان يكون لله علم ، كما لم

(25) المصدر نفسه، ص 136 .

(26) الاشعري ، الابانة ، ص 136-137 .

(27) المصدر نفسه ، ص 137 .

(28) الاشعري ، الابانة ، ص 137 .

ينف بخصوص الكلام ان يكون الله عالماً⁽²⁹⁾. ويناقش الاشعري ادلتهم العقلية والنقلية فكما يدحض حججهم العقلية بحجج عقلية فإنه يناقش النصوص التي يستدلون بها بنصوص اخرى : (ويقال لهم : من اين علمتم ان الله عالم؟ فان قالوا : بقوله عز وجل { انه بكل شيء عليم }⁽³⁰⁾. قيل لهم : ولذلك فقولوا : ان لله علماً بقوله : { انزله بعلمه }⁽³¹⁾. وبقوله : { ما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه }⁽³²⁾. وكذلك قولوا : ان له قوة لقوله : { او لم يروا ان الله الذي خلقهم اشد منهم قوة }⁽³³⁾. وان قالوا : قلنا : ان الله عالم لأنه صنع العالم على ما فيه من اثار الحكمة واتساق التدبير ، قيل لهم : فلم لا تقولون : ان لله علماً بما ظهر في العالم من حكمه واثار تدييره ؟ لأن الصنائع الحكيمة لا تظهر إلا من ذي علم ، كما لا تظهر الا من عالم، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة ، كما لا تظهر إلا من قادر)⁽³⁴⁾. ومحاولة الاشعري تمثل في اثبات ان الله عالم بعلم امام خصوم يقولون بأن الله عالم ولكن دون صفة العلم باعتبار ان هذه الصفة هي عين الذات ويتابع الاشعري اثبات صفة العلم لله تعالى فيقول : (ويقال لهم : اذا نفيت علم الله فهلا نفيت اسماءه ؟ فان قالوا: كيف نفى اسماءه وقد ذكرها في كتابه ؟ قيل لهم : فلا تنفوا العلم والقوة ، لأنه تبارك وتعالى ذكر ذلك في كتابه)⁽³⁵⁾. ويرد على المعتزلة والجهمية والحرورية (أتقولون : ان لله علماً بالأشياء سابقاً فيها ، بوضع كل حامل ، وحمل كل انثى ، وبانزال كل ما انزل ؟ فان قالوا : نعم ، فقد اثبتوا العلم ، ووافقوا)⁽³⁶⁾. وان قالوا : لا فقد جحدوا وانكروا النصوص التي سابقاً ذكرها الاشعري لا ثبات صفة

(29) المصدر نفسه ، ص 137-138 .

(30) سورة الشورى : الآية 12 .

(31) سورة النساء : الآية 166 .

(32) سورة فاطر : الآية 11 .

(33) سورة فصلت : الآية 15 .

(34) الاشعري ، الابانة ، ص 138 .

(35) المصدر نفسه ، ص 139 .

(36) الاشعري ، الابانة ، ص 141 .

العلم ، وهذه النصوص مفادها : (اوجب انه عليم يعلم الاشياء كذلك ، فما انكرتم ان تكون هذه الآيات توجب ان الله علماً بالأشياء سبحانه)⁽³⁷⁾ . ويستدل الاشعري على اثبات صفة العلم لله تعالى من خلال تفرقة بين الاولياء والاعداء : (ويقال لهم : لله عز وجل : علم بالتفرقة بين اوليائه واعدائه فهل هو مرید لذلك ؟ وهل له ارادة للإيمان اذا اراد الايمان . فان قالوا : نعم فقد وافقوا ، وان قالوا : اذا اراد الايمان فله ارادة ، قيل لهم : وكذلك اذا فرق بين اوليائه واعدائه فلا بد من ان يكون له علم بذلك ، وكيف يجوز ان يكون للخلق علم بذلك ، وليس للخالق عز وجل علم بذلك ؟ هذا يوجب ان للخلق مزية في العلم وفضيلة على الخالق ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)⁽³⁸⁾ . وهذه المزية التي جعلوها للخلق دون الخالق قد تلحق بالخالق الجهل والنقصان : (ويقال لهم : اذا كان من له علم من الخلق اولى بالمنزلة الرفيعة ممن لا علم له ، فاذا زعمتم ان الله عز وجل لا علم له لزمكم ان الخلق اعلى مرتبة من الخالق ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)⁽³⁹⁾ . هذا من جهة ومن جهة اخرى (يقال لهم اذا كان من لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان ، فما انكرتم من انه لا بد من اثبات علم الله ؟ والا الحقتم به النقصان جل وعز عن قولكم وعلا ، الا ترون ان من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصان ، ومن قال ذلك في الله عز وجل وصف الله سبحانه بما لا يليق به ، فكذلك اذن من قيل له من الخلق لا علم له لحقه الجهل والنقصان ، فوجب ان لا ينفي ذلك عن الله عز وجل لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان)⁽⁴⁰⁾ . ويتبع الاشعري الزامه لهم بإثبات صفة العلم اثبات غيرها من الصفات كالقدرة والحياة والسمع والبصر : (ويقال لهم : هل يجوز ان تنسق الصنائع الحكيمة ممن ليس بعالم ؟ فان قالوا : ذلك قال ولا يجوز في وجود الصنائع التي تجري على ترتيب ونظام إلا من عالم

(37) المصدر نفسه ، ص 141 .

(38) الاشعري ، الابانة ، ص 141-142 .

(39) المصدر نفسه ، ص 142 .

(40) المصدر نفسه ، ص 142 .

قادر حي⁽⁴¹⁾. فان اثبتوا العالم لزمهم ان يثبتوه ذي علم : (قيل لهم : وكذلك لا يجوز وجود الصنائع الحكيمة التي تجري على ترتيب ونظام الا من ذي علم وقدرة وحياء ، فان جاز ظهورها لا من ذي علم فما انكرتم من جواز ظهورهما لا من عالم قادر حي ، وكل مسألة سألناهم عنها في العلم فهي داخلة عليهم في القدرة والحياة والسمع والبصر)⁽⁴²⁾ .

وهذه الحجج التي ذكرها الاشعري بالرغم من انها الزمت خصومه إلا ان عليها بعض الملاحظات التي اشار اليها ابن رشد منها ان الاشاعرة يقيسون الغائب على الشاهد ، أي انهم يستدلون على العلم الالهي قياساً على العلم البشري ، لذلك نجد ان الاشعري يعتمد ردوده قياساً على ذلك ونظرية الاحوال التي ذكرها ابن رشد قد قال بها ابو هاشم الجبائي إلا انه رد الصفة إلى انها عين الذات .

المطلب الرابع: آراء بعض الاشاعرة في مسألة العلم الالهي.

وفي حين ان الباقلاني وهو من كبار الاشاعرة : (قد ردد قوله في اثبات الحال ونفيها وتقرر رأيه على الاثبات ، ومع ذلك اثبت الصفات معاني قائمة به لا احوالاً . "وقال الحال الذي اثبته ابو هاشم هو الذي نسميه صفة خصوصاً اذا اثبت حالة اوجبت تلك الصفات")⁽⁴³⁾. والصفات الالهية عند الباقلاني على نوعين صفات ذاتية وصفات فعلية واما الذاتية فهو يعرفها بأنها (الصفات التي لم يزل الباري عز وجل موصوفاً بها)⁽⁴⁴⁾. وهي قديمة كقدم الذات وهذه الصفات هي (الحياة ، والعلم ، القدرة ، السمع ، البصر ، الارادة ، الكلام)⁽⁴⁵⁾. اما الصفات الفعلية فهي (الصفات التي تدل على افعال الباري عز وجل في الكون)⁽⁴⁶⁾.

(41) الاشعري ، الابانة ، ص 143 .

(42) المصدر نفسه ، ص 143 .

(43) الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، ج 1 ، ص 95 .

(44) د. محمد رمضان ، الباقلاني وآراءه الكلامية ، مطبعة الامة ، بغداد ، 1986 ، ص 475.

(45) المصدر نفسه ، ص 475 .

(46) المصدر نفسه ، ص 475 .

وهذه الصفات هي : (الخلق ، الرزق ، الاحسان ، الانعام ، الاحياء ، الامانة ، الحفظ ، الرفع) (47).

وهذه الصفات يتفق عليها الاشاعرة عامة مع المعتزلة، باعتبارها صفات فعلية ، (لأن الله تعالى يتصف بها وقتاً دون وقت ، لأنها تتعلق بالعالم وتدييره ، والعالم محدث لا قديم) (48)، عند كليهما غير انهما قد اختلفا في صفتي الارادة ، والكلام (حيث اعتبرهما الاشاعرة من الصفات الذاتية، بينما اعتبرهما المعتزلة من الصفات الفعلية) (49). وهذا يؤكد ما ذكرناه عن الدكتور الالوسي من ان الخلاف بين الاشاعرة والمعتزلة في هذه المسألة خلاف لفظي وقد سبقه إلى هذا الرأي (جلبي في تعليقه على كتاب المواقف للايجي) (50) ويرى د. حسام الالوسي ايضاً (ان تأكيد الاشعري على ان الصفات الالهية هي غير الله هو في الاساس لتأكيد عدائه للمعتزلة وفي رأبي ان المعتزلة والاشعري ليسا على خلاف جوهرى في مسألة الصفات الذاتية) (51).

اما الجويني الملقب بإمام الحرمين فإنه يقسم الصفات الالهية إلى قسمين : صفات نفسية واخرى معنوية . اما النفسية فإنه يعرفها بانها : (كل صفة اثبات لنفس لازمة ما تعيه النفس غير معللة بعلة قائمة بالموصوف) (52). وهذه الصفات هي اخص ما يتصف به البارى تعالى وهي واجبة لله تعالى وهذه الصفات هي : الوجود ، القدم ، وقيامه بنفسه ، ومخالفته للحوادث ، وكما ان التحيز هو اخص صفة للجوهر فهذه الصفات اخص صفات البارى تعالى .

(47) د. محمد رمضان ، الباقلاني وآراءه الكلامية ، ص 479 .

(48) المصدر نفسه ، ص 479 .

(49) القاضي ابو بكر الباقلاني ، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، مطبعة القاهرة ، 1947 ، ص 38 - 39 .

(50) ينظر الايجي عضد الدين ، المواقف ، اسطنبول 1286 ، ج 1 ، ص 355 .

(51) د. حسام الالوسي ، دراسات الفكر الفلسفي الاسلامي ، ص 173 .

(52) الجويني ، عبد الملك بن عبد الله ، الارشاد إلى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد ، تحقيق : د. محمد يوسف موسى ؛ ود. علي عبد المنعم عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر، 1950، ص 30.

واما الصفات المعنوية فيعرفها بأنها : (الاحكام الثابتة للموصوف بها معللة بعلة قائمة بالموصف)⁽⁵³⁾ . وهي العلم ، والقدرة ، الحياة ، الارادة ، السمع ، والبصر.

والجويني من القائلين بالأحوال كالباقلائي حيث يفسر الاول الحال كما يفسره ابو هاشم الجبائي من ان (الحال صفة لموجود غير متصفة بالوجود ولا بالعدم)⁽⁵⁴⁾ .

ان الذي دعا الجويني إلى اعتبار الوجود من الصفات النفسية هو متابعته لسابقه حيث يقول : (والائمة رضي الله عنهم متوسعون في عد الوجود من الصفات والعلم به علم بالذات)⁽⁵⁵⁾ ، ومعنى هذا ان الجويني فسر نظرية الاحوال التي قال بها ابو هاشم الجبائي بقوله لا معلومة ولا مجهولة (ان المعلومات تقسم إلى وجود وعدم . وصفة الوجود لا تتصف بالوجود والعدم)⁽⁵⁶⁾ .

الخاتمة :

ان المحصلة النهائية التي خرج بها بحثنا هذا عن منهج المدرسة الاشعرية في مسألة العلم الهي هي جملة امور من اهمها:

اولا: ان مسألة العلم الهي لها جذور في الفلسفة اليونانية قبل الاسلام.

ثانيا: ان مسألة العلم الهي مرتبطة ارتباطا وثيقا مع مسألة الوجود، فبعد البحث في اثبات واجب الوجود لا بد من البحث في صفاته، ومنها العلم.

(53) الجويني ، الارشاد ، ص 30 .

(54) المصدر نفسه ، ص 78 .

(55) المصدر نفسه ، ص 30 .

(56) المصدر نفسه ، ص 83 .

ثالثا: ذهبت بعض الفرق والمدارس الكلامية الى ان صفات الباري تعالى هي عين ذاته ومنها العلم ، فهي ليست شيئا زائدا عنه، وهذا ما ذهب اليه المعتزلة والامامية.

رابعا: ذهب الاشاعرة وعلى رأسهم زعيم المدرسة ابو الحسن الاشعري الى ان الصفات ومنها العلم الالهي لاهي هو ولا هي غيره.

خامسا: ادعت المدرسة الاشعرية انها اخذت بهذا الرأي لكي تقف موقفا وسطا بين منكري الصفات الذين يعتبرونها عين الذات وبين المجسمة الذين بالغوا في التزامهم النصوص الى حد التجسيم ولم يؤولوها وينزهوا الله من الجسمية. كأثبت اليد والعين لله تعالى. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

سادسا: عرض الاشعري منهجه في اثبات رأيه ومحاجته خصومه وردوده عليهم واعتبار آرائهم ليست من الحق في شيء.

سابعا: اختلفت آراء بعض مفكري الاشاعرة عن رأي زعيمهم في هذه المسألة فذهب الباقلاني الى اعتناق نظرية الاحوال التي قال بها الجبائي، وذهب الجويني الى تقسيم الصفات الى معنوية ونفسية، وهو لا يختلف عنما ذهبت اليه الامامية في تقسيم الصفات الى صفات جلال وصفات كمال. والله تعالى اعلم .

واوصي زملائي الباحثين بدراسة مناهج المدارس الكلامية كل على حدة، لكي يتسنى لنا فهم هذه الآراء من خلال فهمنا لمنهج هذه المدرسة او تلك وبيان حيوية هذه الافكار من خلال عرض الاختلافات الواردة ضمن المدرسة الواحدة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الاشعري ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت 324هـ) ، الابانة عن اصول الديانة ، تقديم الشيخ حماد بن محمد الانصاري ؛ والشيخ عبد العزيز بن باز ؛ والشيخ اسماعيل الانصاري ، دار البصيرة ، الاسكندرية ، ط 1 ، 1413هـ - 1992م .

الاشعري ، اللع في الرد على اهل الزيغ والبدع ، تحقيق الاب مكارثي ، بيروت ، 1953 .

الألوسي : د. حسام، الفلسفة اليونانية قبل ارسطو، دار الحكمة ، بغداد، 1990 .

الالوسي: د. حسام ، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1980م.

الايحيي عضد الدين عبد الرحمن بن احمد (ت:756هـ) ، المواقف، اسطنبول 1286 ، وايضا: تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار الجيل، بيروت، 1997م.

أفلاطون : محاوره الدفاع ، ضمن محاورات أفلاطون ، ترجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة 1963 .

الباقلاني :القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، المالكي،(ت403هـ) التمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل، مطبعة القاهرة ، 1947
التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر الخيالي (ت:792هـ) ، شرح العقائد النسفية ، القاهرة ، 1326هـ ، .

الجويني: ابو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الطائي (ت478هـ)، الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد، تحقيق: د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1950م.

ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم (ت681هـ) ،
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر،
بيروت، ط1, 1994م.

رمضان د. محمد، الباقلاني وآراؤه الكلامية، مطبعة الامة، بغداد، 1986م.
السهورودي: ابو الفتوح يحيى بن حبش بن ميرك الحلبي، المقتول (ت487هـ)
، حكمة الاشراف، ضمن مجموعة مصنفات شيخ شراق، بتصحيح هنري كوربين،
تهران، 1373ش. م .

الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد الكيلاني،
دار المعرفة، بيروت، 1404هـ

الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد الطوسي (505هـ) الاقتصاد في الاعتقاد،
القاهرة، 1327هـ. وايضا: طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424هـ-
2004م.

ابن كثير: الامام الحافظ ابي الفداء عماد الدين بن اسماعيل القرشي
الدمشقي، (ت704هـ) ، البداية والنهاية، تحقيق : د. رياض عبد الحميد مراد، دار
ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1431، 2هـ-2010م .

. يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار قلم، بيروت، ط1, 1990م.

F.FBUMETJ .:Greek philosophy, Thales to pla, London 1961,
Zeller outline the Greek Philosophy , New York , 1955 , .